رسوم الأطفال وانعكاسها في أعمال هاشم حنون
Children's drawings and their reflection in (HashemHanoun's works)

م.د. مروة نزار يوسف
Dr.MarwaNizar Youssef
جامعة البصرة / كلية الفنون الجميلة / قسم التربية الفنية
Marwa.yusif@uobasrah.edu.iq

الكلمات المفتاحية: (الرسم ، الانعكاس ،رسوم الأطفال ، الرسم العراقي) .

ملخص البحث

تعد رسوم الأطفال متنفساً لانفعالات ورغبات الطفل والكشف عما يرغب فيه من خلال رؤيته الذاتية للبيئة (الأسرة والمجتمع). والتي اتسمت بخصائص وسمات متعددة شكَّلت بعداً جمالياً، مما دعا الفنان العراقي في رسومه إلى اتخاذ تلك السمات وفق معالجات تقنية للسطح التصويري ، لاقترابها من التجريد الذي يتسم بالخالص؛لكون الفنان يعمل على استلهام عناصره الفنية من البيئة ومن كل اثر يجد فيه ضالته للوصول إلى المعنى الحقيقي لموضوعاته.لذا تعد رسوم الأطفال واحدة من استلهامات الفنان للسطح التصويري،لاسيما الفنان(هاشم حنون) ، وبذلك تشكلت مشكلة البحث بالتساؤل الآتي:هل هناك انعكاس لرسوم الأطفال في أعمال هاشم حنون؟حيث ان هدف البحث الحالي هو:(التعرف على رسوم الأطفال وانعكاسها في أعمال هاشم حنون).بينما مجتمع البحث فتمثل بأعمال الفنان (هاشم حنون) للفترة من (1995-2001)،أما عينة البحث فشملت على (4) نماذج تم اختيارها بطريقة قصدية.

Keywords: (drawing, reflection, children's drawings, Iraqi drawing)

Research Summary

Children's drawings are an outlet for children's emotions and desires, revealing their desires through their subjective perception of the environment (family and society). Which was characterized by multiple characteristics and features that formed an aesthetic dimension, which prompted the Iraqi artist in his drawings to adopt those features according to technical treatments of the pictorial surface, for its

proximity to abstraction that is characterized by purity; because the artist works to inspire his artistic elements from the environment and from every effect in which he finds his desire to reach the true meaning of his subjects. Therefore, children's drawings are one of the artist's inspirations for the pictorial surface, especially the artist (HashemHanoun), and thus the research problem was formed by the following question: Is there a reflection of children's drawings in the works of HashemHanoun? Whereas the goal of the current research is: (To identify children's drawings and their reflection in the works of HashemHanoun). While the research community was represented by the works of the artist (HashemHanoun) for the period (1995-2001), the research sample included (4) models that were chosen intentionally.

الفصل الأول /منهجية البحث

أولا : مشكلة البحث :

ان لرسوم الأطفال أهمية كبيرة كونـها توفر مجالا خصبا للكشف عـن مكامن الطفـل ونشاطا يجد الطفل فيه متنفسا لانفعالاته والتعبـير عـن إحساساته وحاجـاته , لـذلك هي تساهم فـي بـناء شخصيتـه. لذا فالطفل يعمد إلى ممارسة الرسم وفق رغبة رغبته الطوعية ، والتي تعبر عن موهبة حقيقية لابد من الاهتمام بها في ضوء المعالجات البنائية والفكرية . والتي تبدأ من خلال الخربشة على أية وسيط يستطيع الحصول عليه ، لذلك يجب السماح للأطفال بالتسلية عن طريق الألوان طالما لديه الرغبة باستخدامها وعدم فرض القيود عليه أو منعه باختيار أي موضوع لتنفيذه بل يجب عليه الحصول على الدعم الكافي من قبل البيئة (الأسرة) للتعبير عما يولج في فكره والتعبير عن أحاسيسه بطريقة فطرية. وبالتالي يمكن النظـر إلى العفويـة في خطوطه والتلقائية في أدائه والفطرية في رسمه للأشكال واسـتخدامه للألوان علـى أنها فـناً خاصاً، فالطـفل يمارس مهارة الرسم مثلما يمارس باقـي المهارات الأخرى، فلا يمكن وصف مقدار المتعة والفـرح اللـذان يغمرانه وهو يرسم ؛ على اعتبار ان الرسم ينمي قدراته ويعبر

عن مشاعره بغية إشباع ميوله ورغباته الذاتية ولاسيما التعبير عن شخصيته ولانفعالاته من خلال تنظيمه للخطـوط والأشكال .

ومن هذا المنطلق فان رسوم الأطفال تشكل تكوينا بنائيا في غاية التجريد لما له من أبعاد جمالية وروحية تكشف عن المعاني الكامنة خلف الأشكال المرسومة ، مما دعا الكثير من الفنانين إلى بناء نسيج السطح التصويري ، من خلال عناصر العمل الفني وفق تجريدية خالصة ، واستلهام أشكال رسوم الأطفال بما يخدم فاعلية الخطاب البصري الحديث ، كما ان طبيعة الفنون عامة والتشكيلية بصورة خاصة تتميز بارتباطها الوثيق بالمجتمع وحاضنته الفكرية ، على اعتبار ان الفنان في الرسم العراقي منذ بزوغه الفني كان يعمل على استنباط أشكاله من البيئة المحيطة والمجتمع ومن التراث والتاريخ الحضاري ، فضلا عن رسوم الأطفال وانعكاسها في نتاجاته الفنية ، فكانت هناك مقاربات في رسوم الأطفال في المنجز الفني العراقي ، لاسيما أعمال الفنان (هاشم حنون) . مما دعا الباحثة إلى البحث والتقصي حول رسوم الأطفال وخصائصها وانعكاساتها في اللوحة التشكيلية ، لذا تتحدد مشكلة البحث الحالي بالتساؤل الآتي :

هل هناك انعكاس لرسوم الأطفال في أعمال هاشم حنون ؟

ثانياً : أهمية البحث والحاجة إليه :

تكمن أهمية البحث من خلال الآتي :

1.يمثل البحث محاولة جادة لكشف اثر المعطيات الفكرية والطروحات الجمالية الفاعلة في صياغة وتوظيف سمات الطفولة في رسوم هاشم حنون .

2.مساهمة البحث في ردم الفراغ المعرفي في حدود هذا الميدان (رسوم الطفولة وانعكاس سماتها في رسوم الحداثة لدى هاشم حنون).

ثالثاً : هدف البحث :

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على :

(رسوم الأطفال وانعكاسها في أعمال هاشم حنون)

رابعاً : حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي بدراسة رسوم الأطفال وانعكاساتها في أعمال هاشم حنون للفترة من (1995- 2001) ، والموجودة في المصادر الفنية ذات العلاقة (كتب ومجلات أجنبية وعربية) ، وما توفر من مصورات في شبكة المعلومات العالمية (الانترنيت).

خامساً : تحديد مصطلحات البحث :

أولا : الرسم

أ. لغة :

الأثر و (رَسْم) الدار ما كان من آثارها لاصِقاً بالأرض . و (رَسَم) على كذا وكذا أي كَتَب وبابه أيضا نَصَر(الرازي، 1983، صفحة 243) .

ب. اصطلاحاً :

الرسم عند المنطقيين مقابل للحد ، وهو قسمان : تام و ناقص ، فالتام ما يتركب من الجنس القريب والخاصة ، كتعريف الإنسان بالحيوان الضاحك . والناقص ما يكون بالخاصة وحدها أو بها وبالجنس البعيد ، كتعريف الإنسان بالضاحك أو بالجسم الضاحك(صليبا ، 1385، صفحة 615) . الرسم فرع من فروع الفن التشكيلي يتم بالخط فقط دون استعمال اللون . ويكون الرسم على نوعين سريع ومتأنٍ(كوفحي، 2008، صفحة 36).

ج . إجرائياً

الرسم هو تعبير من خلال صياغة التكوينات الفنية للأشكال على سطح مستوي من أجل إيجاد الإحساس والشعور بالحركة والزمان والمكان والامتدادات الناتجة عن تكوينات العناصر الفنية لرسوم الأطفال وانعكاسها في رسوم هاشم حنون .

ثانيا : الطفولة:

- عرفها (الهيتي) بأنها : مرحلة يتصف بها الأطفال بخصائص وعادات وتقاليد وميول وأوجه نشاط وأنماط سلوك , ومفردات لغوية وقيم ومعايير وطرق خاصة في اللعب ، وأساليب خاصة في التعبير عن أنفسهم وفي إشباع حاجاتهم , ولهم تصرفات ومواقف ، واتجاهات وانفعالات وقدرات ، إضافة إلى مالهم من نتاجات فنية(الهيتي ، 1988، صفحة 30) .

ثالثا : رسوم الأطفال :

- عرفها (البسيوني)بأنها:" تلك التخطيطات الحرة التي يعبرون بها عن أي سطح كان , من بداية عهدهم بمسك القلم أو ما يشابهه،أي السن الذي يبلغون عنده عشرة شهور تقريباً، إلى أن يصلوا إلى مرحلة البلوغ "(البسيوني, محمود;، 1984، صفحة 17)

- رسوم الأطفال (إجرائيا) :

هي المنجزات المرسومة والمنفذة من قبل الطفل من خلال الاستجابات (الحسية والمتخيلة) والتي تتوافق مع مستويات المراحل العمرية واليات التعبير عنها شكلاً ومضموناً .

الفصل الثاني / الإطار النظري
المبحث الأول / سمات رسوم الأطفال

إن الإنسان بمختلف نشاطاته الفكرية والاجتماعية والسياسية والمعرفية يقوم بإيصال أفكاره إلى الآخر وذلك من خلال لغة واضحة ومفهومة من قبل الآخرين ، والرسم باعتباره لغة بصرية فهو يساهم في إطلاق الرؤية الفنية،والطفل باعتباره ممارسا للنشاط الفني لاسيما الرسم فهو من أهم وأمتع النشاطات التي يمارسها والتي لها دور مهما في حياته لاسيما الاستفادة من وقته والاستمتاع بطفولته وإشباع ميوله وتنمية ملكاته ، لذا فرسوم الأطفال تعد لغة تعبيرية ووسيلة للاتصال ، والتي من خلالها ينقل الطفل خبراته إلى المشاهد ولهذا كانت رسوم الأطفال لغة بصرية ورمزية ، تحمل الكثير من المعاني الكامنة خلف الأشكال المرسومة بالخطوط والألوان ، فهو يجسد تمظهرات الأشياء في حركات وإشارات عما يرسمه من أشياء بصرية أو ذهنية مضيفاً لها سمات تميزها وتصطفيها على غيرها(البسيوني , محمود;، ب.ت، صفحة 212).

ان الرسم لدى الطفل يشكل منظومة فكرية ترتبط بمشاعره ، فيتجسد ذلك في رموزه وأشكاله وان كل رمز يضعه الطفل في أعماله المرسومة هو مجرد فكرة أو انفعال ؛ كونها تنجز بعفوية وفطرية وتتضمن ما يشعرون به ، حيث تكتسب قيمتها من طبيعة الإنسان وحاجاته فهي ليست منتجات عقلية بحته بل أنها رسوم ذات فعالية تقوم على وصف طبيعة الفهم الطفولي لأموره الحياتية ولما يتمتع به من فطرة تكون أشبه بفطرية الإنسان البدائي . ان السطح التصويري الذي يتفاعل معه الطفل لانجاز موضوعه يتم من خلال قيامه بملئ السطح التصويري بالأشكال سواء كانت آدمية أو حيوانية أو نباتية ، مما جعله يضع علاقات موضوعه التصويري بالخطوط المخربشة والألوان وعلاقاتها بالفضاء ، فضلا عن المنظور العشوائي البعيد عن المنظور العقلي. ولذا فهو يعمل بعبثية أشبه بفوضوية اللعب (اللعب الحر) واللعب بالأشكال هو أسمى تعبير عن التطور الإنساني لدى الأطفال ، حيث يظهر ذلك عندما تطلق له الحرية ليعبر عن نفسه والعالم المحيط به بغير ضغط أو إكراه(البسيوني, محمود;، 1962، صفحة 213).**لذا فان رسوم الأطفال لها سماتها وخصائصها التي تنطوي على مضامين ومعاني تتناسب مع التفكير العمري له التي لابد من الكشف عنها والوقوف عليها.**

1- **التلقائية :**إن قيام الطفل برسم موضوعه إنما يتم من خلال ذاتيته وإرادته الحرة البعيدة عن القوانين المقننة التي تجعله مقيدا ، وبالتالي فان ما يطلق عليه فعلاً تلقائيا ينبغي ان لا يصدر عن القواعد المحددة والصارمة(ابراهيم , زكريا;، 1971، صفحة

282) ، ويرى (ريد) ان التلقائية لدى الطفل هيأداء شيء أو التعبير عن الذات بغير إكراه(ريد ، 1975، صفحة 197). ولذا أن ممارسات الطفل التلقائية هي تعبير عن مكنوناته الداخلية بفعل التأثير والتأثر بالبيئة المحيطة ؛ على اعتبار ان رسومهم تنجز وفقاً لضرورتهم الداخلية وعالمهم المميز وبأنها خاصية تدخل ضمن كل الخواص والتي من الصعب فصلها لتكون خاصية منفردة(الترابي , فاطمة لطيف ;، 1999، صفحة 41). لذا ترى الباحثة ان التلقائية فعل أدائي عفوي وفطري ناجم من اختيار الطفل للحرية الذاتية ، فنتاجه بعيد عن التقييد والضغوط الخارجية ، فما ينتجه الطفل إنما هو نابع من الفعل الذاتي الحر والغير مقيد ، وبالتالي فمن خلال التلقائية يستطيع إسقاط أشكاله الرمزية المعبرة ، فهي نتاج العفوية التي يمر بها قبل أن يخرج إبداعه ، وتتم خلال مراحل الاستبطان التي تعتمد على التأمل الذاتي , فضلاً على دور الإلهام الذي يأتي إلى الشخص بصورة تلقائية وغير مقيدة.

2- **الشفافية:** لما كانت رسوم الأطفال تمتاز بالتلقائية والعفوية ، لذا فالطفل يعمل على تشظي أشكاله برؤية شفافية تخترق الحجب للأشياء المرسومة.قد سميت هذه السمة رسوم (أشعة اكس) فالنفاذ لديه يأتي من خلال السطوح سواء كانت شفافة أو غير شفافة، فتراه يرسم الطير وهو في جوفه الحبوب(البسيوني, محمود;، 1984، الصفحات 171-172). لذا فأعماله تتسم بذهنية فكرية فهو يعلم الحقائق برؤيته الذاتية ، فيعمل على تجسيدها بإشكال هندسية وعضوية فيقوم بإزالة الظواهر للوصول إلى الجوهر والمضمون . فالطفل في رسومه لا يعترف بالحقائق المرئية بقدر ما يعترف بالحقائق الذهنية أو المعرفية عند التعبير (خميس , حمدي;، 1962، صفحة 33).بالتالي نلحظ ان الطفل يرسم محتويات الأشياء ظاهرة للمشاهدة كمحتويات البيت ظاهرة على شكله الهندسي ، او رسم ما يأكله الحيوان من حبوب ظاهرا على جسمه او الأسماك بارزة وهي تحت الماء.

3- **التسطيح:** تعتبر من السمات المهمة التي يعمل الطفل على تجسيدها في رسومه والتي تقترب من التجريد وتبتعد عن المنظور، لذا فالطفل عندما يريد رسم شيء مثلاً (عربة) فتجده يبين سطحها الخشبي كأنه ينظر إليه من أعلى، فيظهره على هيئة مستطيل، ولكنه يعود فيغير وضعه عندما يرسم العجلة فيقف أمامها ويعبر عنها من هذه الزاوية ويرسمها على شكل دائرة ، ثم نجده يغير وضعه مرة أخرى فيرسم الحيوان الذي يجر العربة من الجانب ، وبهذه الطريقة يخرج رسمه مسطحا. كما يظهر التسطيح من خلال إثارة الطفل لموضوعات لها جانبين متشابهين غايته التعبير عنها عنهما في وقت واحد ، وسبق وأن ظهرت هذه الطريقة في رسوم الإنسان البدائي وبعض من الرسوم الشعبية المصرية(البسيوني, محمود;، 1984، صفحة 172).

4- **التحريف:**عندما يشرع الطفل في رسوم أشكاله فانه يعمل على تشذيبها وتحويرها وفق رؤيته الحسية البصرية ، وبالتالي يعمل على الابتعاد عن المقاييس الصحيحة ،. فيقوم برسم الوجوه مثلا من عدة جوانب. فالطفل يغير وضع الرسم دون ان يتقيد بالوضع الطبيعي المألوف بفطرية ودون وعي(البسيوني, محمود;، 1984، صفحة 172).فضلا عن ذلك ان الطفل يعمل على انتزاع الفكرة من العالم المرئي وتجسيدها على السطح بعيدا عن الحدود الزمكانية .وبذلك فهو " يبتعد عن التجسيد الموضوعي للمرئيات عن طريق التلاعب بأشكالها وألوانها أو أمكنتها أو أزمنتها أو عن طريق الجمع بين الاثنين معا في حيز واحد ، فلا يكون الرسم مماثلا أي من الأوضاع المألوفة في الطبيعة "(الترابي , فاطمة لطيف ;، 1999، صفحة 41). وبالتالي فالأطفال يحرفون رسوماتهم كونهم لا يجدوا ضرورة تدعوهم على التقييد بالمظهر الخارجي للعالم المرئي ، نظرا لانشغالهم بإضفاء فكرتهم الذاتية والإفصاح عما يختلج في نفوسهم تجاهها بطريقة تكاد تكون لا شعورية دون أن يملي عليهم أي شخص شيئاً .

5- **خط الأرض:**عند قيام الطفل برسم موضوعات بحسب الرؤية الإدراكية يقوم بوضع إحساساته اتجاه تلك الموضوعات والمشاهد المرسومة ، فيقوم بوضع مركز لتلك المشاهد ممثلا بخط أفقي يكاد يكون المرتكز الأساس للأشياء الموضوعة فوق الخط ، فهو يستخدمه في تعبيره عن الفضاء ليرمز مرة إلى القاعدة التي ترتكز عليها الأشياء وأخرى ليميز به سطوح المنظر الطبيعي ، فضلا على استخدام الطفل لأكثر من خط يعلو أحداهما الآخر(البسيوني, محمود;، 1984، الصفحات 145-146).

6- **الميل :** يعد الميل كظاهرة أو سمة تتجسد في رسوم الأطفال هي نوع من التوفيق بين الحقيقة المرئية والحقيقة الفكرية ، الطفل يعرف أن الأجسام ترتبط بالأرض التي ترتكز عليها فإذا أراد أن يرسم هذه الأجسام على خط الأرض رسمها عمودية ولكن هذه الفكرة تخلق له نوعاً من الحيرة عندما يتغير خط ألأرض من وضعه الأفقي إلى وضع متعرج أو مقوس أو مائل ففي هذه الحالات ، ورغم معرفته بأن الأجسام تكون في اتجاه رأسي إلا أنه يوفق بين ذلك وبين ربطها بخط الأرض(البسيوني, محمود;، 1984، الصفحات 171-172). لذا ترى الباحثة ان الميل في رسوم الأطفال ناتج من وعيه الفكري نحو الأشياء المرئية ، فيضع الشكل وفق الفعل القائم به ، وبالتالي فانه يجسد المعنى الكامن بطريقة تجريدية ، فيحرف ويميل الأجسام.

7- **التكرار:** ان الطفل يمتلك من الصور خزينا ، يعمل على إظهاره ، وفق رؤيته الحسية والفكرية ، فيعمل على تكرار تلك الصور باعتبارها الأساس في رسومه أو موضوعه المرسوم ، لذا يشكل التكرار نوع من الفرح والغبطة . فالتكرار لا يعد

مظهراً من مظاهر الضعف والركود الفني بل مظهر من مظاهر النشوة والسرور(المولى , تغلب عبد المولى ;، 2008، صفحة 55). وبالتالي فالتكرار هو ترديد رسم عنصر معين بتفاصيله وهيئته العامة دون خروج ظاهر عن الأصل .

8- **التماثل**: يمكن عده نوع من التشابه ، وهو في الرسم جعل ما هو أعلى يتماثل في الشكل مع ما هو أسفل. لذا ففي العمل الفني تكون الحالة التي يتماثل فيها نصفاه العلوي والسفلي أو يتماثل جانبيه الأيمن والأيسر ، وبالتالي يكون العمل من وحدات متماثلة(غيث, خلود بدر و معتصم عزمي ;، 2008، صفحة 154). كما يعتبر التماثل من الأمور البارزة في الوجود ، ويرجع ذلك إلى حساسية الإنسان بعامل الاتزان كما يرى البسيوني ، على اعتبار ان تركيبه العضوي نفسه مبني على فكرة التماثل، والإحساس بالتماثل يعطي نوعاً من الراحة للرائي ، والتماثل بالحقيقة هو بداية الإحساس بالزخرفة لأنه يتضمن عامل الاتزان في أبسط صوره(البسيوني, محمود;، 1984، صفحة 197) .

9- **القصدية والغرضية:**يرسم الطفل بما ترضاه نفسه أو تبتغي لشيء ما ، فما يقصده الطفل يعود إلى غرضه في رسم الشكل ، مما دعا الطفل إلى إتباع أساليب مختلفة في رسمه للأشكال منها :**المبالغة في الاحجام** أي يلجا الطفل إلى المبالغة في أحجام بعض العناصر التي يرسمها ، فهو يكبر جسماً بالمقارنة مع أجسام أخرى لذا ترى الباحثة ان الطفل يقوم بالمبالغة من خلال اللون والشكل ، فيعمل على المبالغة في كبر الأجسام ، أو المبالغة في صغرها ، ويكون ذلك تبعا للضرورة أو القصدية التي يحاول إيضاحها في عمله الفني . ولما كان الطفل يتجه بالدرجة الأولى للمبالغة في بعض الأحجام لإظهار معانيها وقيمتها نجده أيضاً يلجأ إلى أسلوب **الحذف** ليؤكد هذا المعنى، وعلى ذلك عندما يقوم الطفل برسم ما ، فأنه يتعرض للناحية الوظيفية ، فالأعضاء التي تؤدي وظيفة معينة تجده يذكرها ، ويظهرها ، ويدقق فيها ، أما ألأعضاء التي لا تؤدي أي وظيفة فنجده يهملها، أو يحذفها.فضلا عن ذلك نجد ان الأطفال يطيلون في بعض الأجزاء التي تؤدي وظيفة خاصة ، ويجد ان سبب الإطالة شعوره من الناحية العضوية بالدور الذي يؤديه العنصر الذي يبالغ في طوله (البسيوني, محمود;، 1984، الصفحات 179-182). ومما سبق ترى الباحثة ان السمات أو الخصائص التي تتمتع بها رسوم الأطفال ، هي بلا شك نابعة من الصميم المعرفي والفكري لمختلف المراحل العمرية ، وبالتالي فانه يعمل على إشباع رغباته وحاجاته من خلال تفريغ انفعالاته على السطح التصويري ، بشكل عفوي وفطري وتلقائي ، فجاءت رسومه مختلفة الأساليب والسمات كما في الأشكال المبينة أدناه .لذا ان رسومات بهذه الفطرة والعفوية ، تحمل من المعاني والمقاصد ما يجعلها ذي أهمية كبيرة لدى الكثير

من الفنانين ، وهذا ما جعل الباحثة تعمل على اظهار هذه السمات في أعمال الرسم العراقي المعاصر، لا سيما أعمال الفنان (هاشم حنون) .

المبحـث الثـــانـــي /رسوم الأطفال وانعكاساتها في الرسم العراقي المعاصر*

يعد الفن العراقي فنا روحيا بما يحمل من مضامين فكرية ومعرفية ، واجتماعية وسياسية ؛ على اعتبار أن الفنان العراقي يستمد موضوعاته من الإرث الحضاري ، المتمثل بحضارة وادي الرافدين ، فضلا على معتقداته الدينية والحياة الاجتماعية والبيئية والحالة النفسية التي تصاحب الفنان،والعلاقة المباشرة بالآخرين كل ذلك له الأثر البالغ في طروحاته الفنية المتمثلة بالرسم والنحت والخط العربي والفنون التطبيقية وغيرها.

ان الفن العراقي مر بمراحل مختلفة أدت إلى تطور الفن بدءا من المحاكاة التسجيلية للواقع إلى تجريد ذلك الواقع من ظاهريته والدخول إلى مضمونه باطنيا وفق المعالجات الفنية والتقنية التي يمتلكها الفنان ، وبالتالي الوصول إلى فكرة ومضمون العمل الفني .

ولما كانت رسوم الأطفال تتميز بالعفوية والفطرية ، وتتسم بالبساطة والتجريد وما تحمل من سمات تجعل من العمل الفني يقترب بتجريديته من عوالم باطنية ، هذا ما جعل المنجز الفني المتمثل بالرسم العراقي ، يحمل تلك الخصائص أو السمات . وقد قامت الباحثة على إبرازها بدءا من مرحلة التأسيس مرورا بالمراحل اللاحقة .ففي **مرحلة التمهيد(التأسيس)**كان لجهود الكثير من الفنانين أمثال(عبد القادر الرسام محمد صالح زكي ، عاصم حافظ و قاسم ناجي) الدور البارز في التأسيس لهذا الفن ، وقد كان الأسلوب الفني آنذاك يعتمد على المحاكاة التسجيلية للطبيعة. إذ كان الرسم العراقي في بدايته هواية ، وكان هم الفنان الذوبان في الطبيعة ومحاكاتها... فالفن تسجيلياً يكتفي بتلوين حدود المنظر الفوتوغرافي(كامل , عادل;، 1997، صفحة 27).كما " كان رسامو الجيل الأول منهمكين في أعمالهم التقليدية ، منصبين على إفراغ الشكل من محتواه ، وإيداعه في قوالب التأليفات الجامدة ، وكانوا يفعلون ذلك تلبية لنفس الدواعي التي حثت خطى من سبقهم من الرسامين مع فارق واحد هو إن الزمن وضع في أيديهم ريشات يهزها الانفعال وترجفها الأحداث المتواترة في عصر كانت تزيد أمواجه وتتفاقم صداعاته الفكرية والسياسية ."(جليل, حسين;، 1971، صفحة 42).

وقد ظهرت بوادر التحول الواعي في الرسم العراقي نحو الحضارة الغربية ، المتمثلة بما هو حداثوي ، في أربعينيات القرن العشرين، متمثلاً بفن (جواد سليم ، فائق

* ارتأت الباحثة باختيار نماذج من الرسم العراقي ما يتناسب مع البحث الحالي ، وفقا لإنتاج العمل .

حسن)، فضلاً عن ذلك افتتاح (حافظ ألدروبي) لمرسمه الحر عام (1942) ومن هنا بدأت منطلقات الحداثة في الرسم العراقي المعاصر ، أما في فترة الخمسينيات فيرى (الأعسم) إن الفنانين التشكيليين كانوا بمثابة تحول جوهري في الانفتاح على مظاهر الرسم الأوربي، واستيعاب خصائصه الفنية ، والشكلية(الاعسم , عاصم عبد الامير ;، 1997، صفحة 13). لقد أقيمت في هذه الفترة التجمعات الفنية وأبرزها(جماعة الرواد)عام(1950) " محددين هدفهم بالبحث عن التعبير الحر المتدفق لطبيعة الأرض والناس "(سليم , نزار ;، 1977، صفحة 65). وجماعة (بغداد للفن الحديث)عام (1951) وقد مثلت هذه الجماعة بداية إطلاق بذور الحداثة الفنية والفكرية على صعيد العمل الفني في العراق وكانت بمثابة الهزة التي نبهت إلى الدور الذي أداه جيل الخمسينيات وهو تحقيق التحول في نظرة الفنان والجمهور من مجرد الرسم بأسلوب الطبيعي أو الانطباعي ... إلى الأسلوب الحديث دونما عودة الى الازدواجية وبالتالي أصبح الفن أكثر جدية في التعبير عن الواقع الاجتماعي والإنساني بالإضافة إلى الالتزام الحضاري في استلهام التراث ومحاولة تحقيق الشخصية الحضارية في الفن(ال سعيد , شاكر حسن ;، 1994، صفحة 17).

إن التطور الذي رافق الفن العراقي لاسيما الرسم المعاصر ، ليس من التوجه الفكري والمعرفي والجمالي فحسب إنما إحساس الفنان العراقي في تطور وارتقاء الخطاب البصري وتنوع أساليبه وفقا لمعالجاته التقنية مما يجعل العمل الفني يمتلك مقومات المنجز الحداثوي.وهي محاولة لإيجاد رؤى فنية وفق أسلوب فني ، ليتسنى للتشكيليين العراقيين ان يصفونها بأنها ذات طابع عراقي(كامل , عادل;، 1997، صفحة 27). مما جعل الرسام العراقي على مختلف مراحل تطور الفن عبر الأجيال السابقة إلى استلهام مفردات المنجز البصري وتوظيفها على السطح التصويري، فهناك رموز تعود إلى الحضارة الرافدينية ، وأخرى إلى الحضارة الإسلامية المتمثلة بالمنمنمات فضلا على الفنون الشعبية وما تحمل من رموز تراثية ، كما ان هناك إسقاطات لرسوم الأطفال على السطح التصويري للرسام العراقي ، كونها تحمل أبعادا استيطيقية تجعل العمل الفني المنفذ بأسلوب الفنان يأخذ صداه وفق تجريدية روحية اقرب إلى الروحي

.

ان خطابات الفنان (فائق حسن) تبحث عن مكنونات التسامي من خلال الألوان ، فكان كثير الاهتمام باللون ، فهو الغاية والوسيلة في الوقت ذاته ، فنتاجه الفني يطلق عليه بـ(التاشية) فهو يبدو " كبقع تلقائية أو كالغيوم المختلفة الأشكال ، وخاصة تلك المتقطعة في يوم ممطر شديد الرياح"(الربيعي, شوكت ;، ب.ت، صفحة 47). لذا يُعد من الأوائل في تجربة اللون ، بحثاً عن عناصر جديدة ، وقد أصبح اللون بالنسبة له

غاية ووسيلة ، لتمثيل ذاته وان اللون يمثل الحركة من خلال قوته المجاورة للألوان الأخرى ، فهو يبحث عن الصورة التخيلية في الطبيعة(جبرا , ابراهيم جبرا;، 1986، صفحة 17). فضلا عن خطوطه التي تتسم بالتجريد الخالص ، والتلقائية ، واحتوائها على فطرية طفولية ، فالسطح التصويري يطفح بالخيالي فهو اقرب إلى اللعب الحر ، كما في الشكل (1) .لذا ترى الباحثة إن (فائق حسن) اختزل خطوطه ، وجعل ألوانه تتجه نحو التبسيط ، فضلا على ابتعاده عن المنظور ، مما جعل رسوماته تنعكس فيها رسوم الأطفال ، وبالتالي فان سمات رسوم الطفولة لاشك أنها تتمحور في نتاجاته ، فتطفح على السطح التصويري بشكل يوحي بان هذه النتاجات رسمت من خلال عفوية طفولية .

الشكل (1)
فائق حسن / الموسيقى الشعبية

أما المنجز البصري لدى (جواد سليم) فقد ركز على العناصر الواقعية كجزء من مخيلته ، حيث استقى من الأشكال والهيئات الواقعية الرموز المناسبة للعمل الفني ، فـ(جواد سليم) لم يتحدد بالأشكال في أطرها التقليدية ، وإنما حاول أن يربطها بالمعنى العام لتجربته الفنية(كامل, عادل;، 1986، صفحة 47)، كما كان زاهدا في اللون والخط والحركة ، واستطاع أن يعبر عن مضمون شرقي بتحقيق حداثوي يحمل بعض السمات الواسطية* ، والواقعية الشعبية ، فاتجاهه منصبا على التقاط رموز المواضيع الشعبية ، لأنه يخضع الكثير من مفرداتها إلى رؤيته الذاتية ويتعامل معها بمبدأ التبسيط والاختزال وبإشارات موجزة وبرموز ذات دلالة(الربيعي, شوكت ;، ب.ت، الصفحات 100-101). فلوحته (زفة في شارع) تحمل رموزا تراثية مأخوذة من الفلكلور البغدادي ، وقد عمل على التعبير عن الواقع العراقي برؤية تجريدية ، فقد جسد موضوعه عبر خطوطه الهندسية ، والعضوية المرنة ، وقد حرف أشكاله ، بطريقة تكاد تكون أشبه بتحريف الأطفال لأشكالهم المرسومة ، فضلا على عدم التقيد بالمنظور التقليدي الأكاديمي ، وهنا أصبح التسطيح البعيد عن أظهار البعد الثالث ،

*نسبة إلى يحيى بن محمود الواسطي أشهر رسامي القرن الثاني عشر والثالث عشر في العصر العباسي .

جزءا من المنجز البصري ، كما في الشكل (2) ، فجواد سليم نقل الواقع المرئي إلى داخل الخطاب البصري من خلال " النزعة الإنسانية واللمسات التي تحدث بمراكز تمثل جوهر الحساسية الإنسانية كالعواطف والطفولة والمكان ..الخ والمشاهد المليئة بالبساطة والفكر الاجتماعي والجمال"(عبد الامير , عاصم ;، 2004، صفحة 32).
بهذا ترى الباحثة أن الخطاب البصري للفنان (جواد سليم) يمتلك مقومات أو سمات رسوم الأطفال نفذت بطريقة وأسلوب قصدي ، وفق التعبير الذاتي والانفعالي بمعالجات حداثوية بحثا عن التجريد والتبسيط.

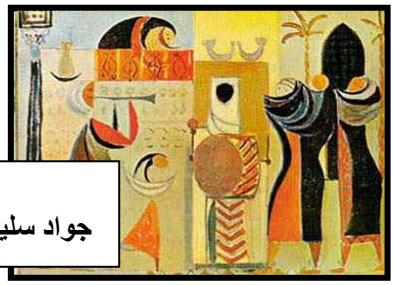

الشكل (2)
جواد سليم /زفة في الشارع(1957)

أما جيل الستينات فقد تميز بتنوع الأساليب الفنية وتنوع الخامات والتقنيات المستخدمة ، فقد كانت هذه المرحلة تتميز بالتمرد على الأساليب التقليدية واستلهام التراث بروح العصر واستعمال المواد الفنية بوعي يمنح الفن شكلا أكثر تطورا وموازيا لغليان الواقع ومتغيراته . وفهم الفن كحرية لها أساسها التاريخي الموضوعي ، اتخذ البحث الفني أكثر وعيا لمعنى دور الفن في الحضارة المعاصرة(عادل, كامل، 1986، صفحة 11). ومن ابرز فناني هذه المرحلة هو ظهور(جماعة المجددين)عام(1965) الذين حاولوا إنتاج خطابات بصرية تشكيلية عراقية ، من خلال توظيف مفردات الإرث الحضاري من الرموز ، والإشارات ، والمعتقدات... بمختلف تنوعها ، وإعادة صياغتها في علامات تكويناتها البصرية مما مهد إلى تحقيق هوية خاصة في أسلوبها ، ذات الطابع الاجتماعي ، وما يرتبط بها من مبادئ وأفكار، وقيم جمالية وسلوكية تشكل موضوعاً أساسياً في بنية الرسم العراقي ، وفي الخصوصية الأسلوبية للفنان نفسه(ال سعيد , شاكر حسن ;، 1989، الصفحات 45-48)، وجماعة(الرؤية الجديدة)عام(1969) الذين مثلوا أنفسهم بجيل مطالب بالتغيير والتجاوز والإبداع ورفضه لكل قديم محنط.

إن نتاجات الجيل الستيني متعددة الأساليب والمضامين فالفنان (نوري الراوي) كما في الشكل (3) ، منح رسوماته سمة شاعرية رومانسية تتخللها أبعادا جمالية لها صلة مباشرة في ذات الفنان ، يقول (شوكت الربيعي):"منح الفنان نوري الراوي لوحاته رومانسية وجدها ملائمة لرؤيته عن الطبيعة ، وأية طبيعة تحتمل هذا العناء غير ذاته المكتنزة عذاباً والمختزلة تأملاً ؟ وهكذا يبني من قرى الطفولة مدينة في نهاية عالمه

الباطني ، وكلما تجددت أشواقه إليها حقق الرؤية في أعماله عموماً مؤكداً على العنصر الشكلي"(الربيعي, شوكت ;، ب.ت، صفحة 55).
كما يشير (عادل كامل) إلى أن (نوري الراوي) جسد الرمز في نتاجاته فهو " لا يرسم الطبيعة المجردة لمدينة (راوة) بل يحاول أن يكسبها قدرة الرمز والدلالة على حد سواء"(كامل, عادل;، 1986، صفحة 234). ويرى (الربيعي) إن اللون لدى (نوري الراوي)" ينشد نوعاً من التوصل إلى اكتشاف قيمة شكلية توازي ما اكتشفه من مواضيع تتواتر ضمن: القرية ، المدينة ، المرأة ، أوراق الزيتون، طيور الحب، وما زالت الأقواس والقباب والمآذن ، تشكل جزءاً من المعمار الشكلي، وجزءاً من معمار الأحلام الراقدة في طفولته وفي مرحلة الكمون ، اعتمدت الأفكار التي تختفي وراء لوحاته على الإيحاء الرمزي"(الربيعي, شوكت ;، 1986، صفحة 67). لذا ترى الباحثة ان السطح التصويري للفنان (نوري الراوي) اكتسب سمة طفولية من خلال تبسيطه لخطوط قريته ، المقوسة التي توحي بحياة روحية دينية ، مليئة ببراءة طفولية بعيدة عن دنس الحياة الدنيوية .

الشكل (3)
نوري الراوي / البراق

أما عقد السبعينات فقد تبلورت فيه رؤى جديدة من خلال ظهور ثماني جماعات متعددة ، فضلا على جماعة البعد الواحد ، حيث جاء إعلان تأسيس تجمع البعد الواحد في كانون الثاني عام(1971) ، الذي كان مصاحباً لمعرضهم الأول وكان يهدف إلى الكشف عن معالم حضارتنا العربية وحث الفنان والجمهور معاً على التعمق في صميم الكيان الداخلي للعمل الفني ، واستلهام معطيات الحرف باعتباره حلقة الوصل بين جميع أقطار البلاد العربية والإسلامية متجاوزين الاهتمام بالتقنية في الفن ، معمقين من المضمون بحيث يصبح جزءاً من الشكل ، أو أن الشكل جزءا من المضمون ، وبذلك ينتهي المبدأ الوظيفي في تفسير العمل الفني(ال سعيد , شاكر حسن ;، 1989، صفحة 102). والتي اتسمت بطابع التحديث التي شملت في الغالب أسلوب العمل الفني وتقنياته ومضمونه مبتعدة عن النمطية والتقليد ، ولقد توسعت تجربة الفنان والمتلقي وما يرافقها من نقد وازداد النزوع نحو مجالات الحداثة والتجديد المتواصل

باتجاه تأصيل رؤيته وخلق منافذ جديدة لوجود سطوح تصويرية وأشكال جديدة في نصوص من الفن البصري العراقي ومنحه قيمة خاصة والتعبير بالأفكار ذات المنحى الفلسفي والأيديولوجي(كامل, عادل;، 1986، صفحة 69).ويمكن أن نتلمس ذلك في رسومات (شاكر حسن آل سعيد)، فقد عمل على اختزال العالم المرئي بشيئيته إلى ما هو تجريدي ، فنتاجاته تمتزج بين البدائي والطفولي ، من خلال خطوطه التي تشبه خطوط الأطفال الفطرية في تكوينها ، لقد تأثر برسوم الأطفال ، من خلال اعتماده على التحريف في أشكاله المرسومة واستخدامه التكرار والتماثل وابتعاده عن المنظور وميله للتبسيط والمبالغة والحذف ، كما في الشكل (4) .

لذا فخطابه البصري يتسم بعفوية تقترب إلى حد ما من البدائي ، الذي يحيل إلى شاعرية وعاطفة طفولية ، فهو يستخدم أشكالا هندسية ، وتكرارا لتلك الأشكال. يقول (آل سعيد) بأن لوحاته الطفولية : " لم يرسمها للأطفال مطلقاً بل لمن يقوى على فهم رسوم الأطفال واحترامها"(ال سعيد , شاكر حسن ;، 1989، صفحة 82).

فالقصدية لدى الفنان تنبع من البحث الذاتي نحو التزاوج بين رسوم الطفولة بعفويتها ، والوصول إلى ما هو روحي وتجريدي للأشكال المرسومة ، ذلك من خلال مبالغته في تكبيرها أو تصغيرها أو استطالتها أو الحذف منها . ولإبراز القيمة الجمالية للعمل الفني استخدم (آل سعيد) خاصية الشفافية في بعض من ألوان وأشكال لوحته(الترابي , فاطمة لطيف ;، 1999، صفحة 41). لذا وزع أشكاله على فضاء السطح التصويري للوحة ، والتي بقيت تحمل اللون الترابي ، كما رسمت الأشكال مسطحة ، لذا فهي بعيدة عن المنظور ، من خلال إقصائه البعد الثالث من اللوحة لتبدو رسومه أكثر قرباً من رسوم الأطفال والبدائي.لذا ترى الباحثة إن المنجز البصري لدى شاكر حسن يطفح باللعب الطفولي للخطوط والأشكال مما جعل العمل يقترب باتجاه الخيال الطفولي ، على اعتبار إن الطفل يرسم ما يعتقده ، وبالتالي فلوحته راقصة بفعل التكوينات والعناصر والعلاقات البنائية ، وهذا يتأكد من خلال تسمية الفنان لمنجزه الفني بـ(حفلة رقص) .

الشكل (4)
شاكر حسن آل سعيد/ حفلة رقص(1951)

وعند الوصول إلى جيل الثمانينات فنذكر جماعة (الأربعة) ، وهم (فاخر محمد ، عاصم عبد الأمير ، محمد صبري ، حسن عبود) ، فالفنان (فاخر محمد) استطاع

بخطاباته البصرية أن ينفذ إلى عالم ماورائي ، بعيد عن العالم المادي بمحاكاته التسجيلية ، فهو ينثر أشكاله في فضاء السطح التصويري ، بمخيلة تكاد تكون بعيدة عن كل ما هو منطقي وعقلي فهي تأخذ شكلا اقرب إلى اللعب الطفولي والفوضوي في سطح تصويري يطفح بالاستيطيقي ، ويضج بالروحي والمطلق .إن رسوماته تقترب من رسوم الأطفال " الذين لا يقيموا وزنا للمعايير التي تعترض رسوم الكبار ، إنهم يجرون مع خيالهم دون عناء ، وفي فنهم يغدوا كل شيء ممكنا ، المنطقي يتحول إلى لا منطقي وبالعكس"(عبد الامير , عاصم ;، 2004، صفحة 82). فقد جرد أشكاله لتمتلك سمات رسوم الأطفال المتمثلة بالتبسيط والشفافية ، والتحريف والتحوير ، وبالتالي فهي تعبر عن رموز ذات تعبيرية وجودية اقرب إلى الروحي . وفي ذلك يرى الفنان (كاظم نوير) إن المرحلة الثمانينية الأولى للفنان (فاخر محمد) " يظهر تأثيرها بشكل واضح من خلال الأشلاء والنزعة التعبيرية ، والقلق الوجودي الذي يظهر جلياً في انسقة الأشكال وأشيائه ورموزه المختلفة "(العناوي, محمد عبيد ناصر ;، 2009، صفحة 122) . كما في الشكل(5)

الشكل (5)
فاخر محمد

مما تقدم ترى الباحثة إن رسوم الأطفال وسماتها تنعكس بل وتتجلى في أعمال الفنان (فاخر محمد) ، فهي اقرب إلى التبسيط والاختزال الشديدين ، فضلا عن التسطيح البعيد عن المنظور الكلاسيكي ، فهو يحيط بالعمل الفني من خلال رؤيته الكونية ، وكأنه يرى بعين الطائر ، مثلما يرسم الطفل موضوعه بمخيلة لا شعورية ، فيضع أشكاله متراكبة وبالتالي تصبح تكويناته الممثلة على سطحه التصويري ذات تقويضات مفككة ، يقوم الطفل بتجميعها وتركيبها وفق رؤيته التلقائية والفطرية .

أما الخطاب البصري لدى الفنان (عاصم عبد الأمير) فتتجلى فيه آليات اللعب الحر وعفوية طفولة ممزوج ببراءة " تشترك في تأسيس خطابه بما يبعده عن التعقيد في طرح الأشكال ، وعلائقها البنائية ، داخل الفضاء المصور ، وقصدية تكون الأشكال وملاحقتها على صعيد التكوين ، والبنية المتحققة من علاقات اللون والخط وتقنية الشكل . من خلال توظيفها أشكال مأخوذة من رسومات الأطفال ، ليشكل منها كائنات طائرة أو طافية في فضاء من الحلم والسعادة واللعب الحر ، في عالم يفيض بالحرية ورغبة الاستعادة في جزء من إنسانيتنا المفقودة واغترابانا التي تشكل قيمة درامية

لنصوصه البصرية وربما رؤية وجودية لها"(عبد الامير , عاصم ;، 2009، صفحة 122). كما في الشكل (6) .فمنجزه البصري يتشبع بالطفولي كالتحريف في الأشكال وبساطتها وإخفاء الكثير من القواعد الفنية والاستناد على إسقاطاته الداخلية ورؤيته الذاتية التي تكشف عن الكثير من المهارات الإبداعية فيعمل الفنان على التلاعب بأشكاله ، محرفا ، ومبسطا ، ومختزلا ، فهو يجسد تجربته بطريقة تجريدية ، تقترب من رسومات الأطفال التلقائية . لذا أن الفنان (عاصم عبد الأمير) ، في توجهاته نحو رسوم الأطفال قدم أعماله سمات تجريدية تعبيرية ، أحاطها الفنان بإبداعه الشخصي من خلال تحريفه لأشكاله داخل اللوحة الفنية وتلاعبه بنسبها وألوانها وحجومها ، أدت غرضاً في تعبيره عن حالة معينة مما جعل أعماله قريبة من أعمال الفنانين الفطريين(شبر, ايمان عامر نعمة;، 2002، صفحة 90).

الشكل (6)
عاصم عبد الأمير طفولة

ووصولا إلى العقد التسعيني فان النتاجات الفنية التي تتمخض عن فناني هذا الجيل ، زاخرة بالرموز المجردة ، المستوحاة من البيئة والتراث الحضاري الأشوري والبابلي والاكدي والسومري ، والفنان التسعيني يعمل على استحضار أشكال الواقع المرئي وتجسيده برؤية حدسية ، اقرب إلى الروحي والمثالي ، وبذلك تقترب النتاجات إلى الأفلاطونية المثالية ، من خلال تفكيك الأشكال وتحريفها ، والاعتماد على التبسيط والاختزال في الخطوط والألوان . فالفنان (ضياء الخزاعي) سيهرب إلى الطفولة متبينا نزعة قوامها الارتجال والتركيب العضوي ..فحين يرتب أشكاله على القماشة البيضاء تلد من فورها لأنها لا تحتمل الإرجاء مطلقا ، لهذا ثمة بنائية تأخذ سياق التفكيك ، لا التركيب ، وليست الأشكال التي تطرز المساحات الملونة إلا لتأكيد صدقية التشبث بأطياف الطفولة التي تلاحق هذا الرسام(عبد الامير , عاصم ;، 2009، صفحة 99). كما في الشكل (7) .فـ(الخزاعي) يؤسس بشكلانية عالية تاريخ اللعب ، أحلام اليقظة الممزوجة بخيوط الحلم وتبعية مفردات الطفولة الممزوجة بالأهواء والتطلعات والذوبان واللذة المعادلة للمطلب النفسي . من اجل الكشف عما هو مؤجل فينا وله وقع في مناسبات ومشاهد معينة . المدينة يعاد حضورها ولو قليلا في رمز

من الإيماءات التي تشير إلى ذاكرة الأمكنة يبقى النص/ الشكل منفتحا يمتزج بين الهروب والانتماء ويحال إلى مجموعة من الشفرات التي تعيد لنا نشاطا فكريا يمتد إلى أن يتوغل فينا(ناجي, شيماء حليم ;، 2007، صفحة 193).

الشكل (7)
ضياء الخزاعي

أما المنجز البصري للفنان (مكي عمران)، فانه يمتلك استيطيقيا البعد الروحي والذاتي ، من خلال تهشيم الشكل إلى رموز توحي بأنها تعود إلى طفل يلعب في حنايا كل ما هو صلب ، ليحفر فطريته بعفوية وقصدية أشبه بقصدية الفنان ذاته ، فعمل على ملء السطح التصويري بوجه تأملي ، وكان هناك من ينتظر الأمل ، أمل الطفولة والبراءة . لذا فنتاجه يقوم على أسس ومبادئ الدوافع الغريزية التي تكشف عما يحتدم في أعماق الفنان من صراع جدلي قائم بين الفكرة التي تحاكي الموضوع والتي تهدف إلى البساطة وتحريف الأشكال ، وتهشيم الخطوط ، لتتقارب إلى روح الطفولة المتوغلة في أعماق السطح التصويري ، ، كما في الشكل (8) .

الشكل (7)
مكي عمران

اما الفنان (كاظم نوير) فنتاجاته تحاكي الطابع والواقع المحلي من جهة ، ومن جهة أخرى الواقع الرافديني والإرث الحضاري ، فوزع أشكاله الحيوانية والنباتية والآدمية ، ومفردات البيئة على سطحه التصويري بشكل يتناسب مع الرؤية الاستبطانية للروح المثالية ، كما في الشكل (9) ، لقد ابتعد (نوير) عن تمثيل الأشياء لذاتها في خطابه ، في سبيل الغور إلى ماهية خالصة ، وبالتالي جسدها وفق رؤية حقيقية من خلال تساميه للواقع العياني . كما

ابتعد عن المنظور التقليدي والأكاديمي ، فوزع أشكاله وكأنه ينثرها من الفضاء للتساقط على سطح ذي بعدين ، وهنا يشبه اشتغالات الطفل الحرة ، فالطفل في بعض الأحيان يقسم ورقة الرسم ليوزع أشكاله برؤية وشفافية بعيدة عن المنظور ، فضلا على أن الأشكال الموزعة للفنان (نوير) داخل عمله الفني توحي بل تؤكد اقترابها من سمات رسوم الأطفال ، ذات التحريف ، والتسطيح ، فضلا على التكرار ، والتلقائية العالية إلى حد ما .

الشكل (9)
كاظم نوير

مؤشــرات الإطار النظـري

بعد طرح الإطار النظري توصلت الباحثة لعدد من المؤشرات هي :

1- إن رسوم الأطفال هي بلا شك نتاج العفوية والفطرية ، وأشبه بفطرية البدائي .

2- تعد سمة التلقائية كفعل أدائي عفوي وفطري ناجم من حرية الطفل الذاتية ، فنتاجه بعيد عن التقييد والضغوط الخارجية .

3- يقوم الطفل في رسوماته بخرق كل ما هو تقليدي ، فيعمل على إظهار خفايا الظاهر ، وكأنه اختراق للحجب ، وهنا تكمن سمة الشفافية .

4- إن رسوم الطفل تبتعد عن المنظور الكلاسيكي ، وبالتالي فهو يعتمد على التسطيح في أشكاله ، مثلما في رسوم الفنانين في تجريد الأشكال والابتعاد عن البعد الثالث .

5- ترتكز رسوم الأطفال على تحريف الأشكال من خلال التلاعب بها بحرية وبرؤية ذاتانية ، وهذا ما نجده في رسوم الكبار لإبراز المعنى الكامن والحقيقي لمظاهر الأشياء .

6- يستخدم الطفل تكرار أشكاله ، لإظهار الفرح والغبطة الداخلية ، ولاهتمامه الكثير بها، ورسوم الكبار تبرز التكرار لأجل خلق ديمومة تتسم باللانهائي .

7- يعد التماثل من السمات المهمة لرسوم الطفل ، وهذا ما انعكس في رسوم الفنانين ، المتمثلة بالزخارف والأشكال الهندسية .

8- لقد حاول الطفل الإمساك بالأشياء زمانياً ومكانياً في آن واحد .

9- يمتلك الطفل غرضية في رسومه ، وهي تنعكس في رسوم الفنانين ، ولكن بقصدية عالية .

الفصل الثالث / إجراءات البحث

أولا : مجتمع البحث :

شمل مجتمع البحث الحالي على أعمال الفنان (هاشم حنون)* للفترة من (1995-2001) ، والتي تنعكس فيها رسوم الأطفال والبالغة (50)عمل منفذة بالألوان الزيتية ، وأخرى بمواد مختلفة ، وتم اختيارها بما يتناسب وطبيعة الدراسة الحالية .

ثانيا : عينة البحث :

تم اختيار عينة البحث بصورة قصدية والبالغة (3) نماذج ، حيث اختارت الباحثة انموذجا واحدا لكل من السنوات التالية (1995) (1997) (1998). بالتالي فان اختيار الباحثة لنماذج عينة البحث وفقا للمبررات الآتية :

1- منحت النماذج للباحثة فرصة الإحاطة برسوم الأطفال وانعكاسها في أعمال الرسم العراقي المعاصر.

2- منحت الباحثة فرصة الإحاطة برسوم الأطفال وسماتها وانعكاسها في أعمال الفنان هاشم حنون .

3- تم اختيار النماذج لأغراض التحقق من هدف البحث الحالي .

ثالثا : منهج البحث :

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي في تحليل عينة البحث كونها تتلاءم مع طبيعة البحث الحالي.

رابعا : أداة البحث :

اعتمدت الباحثة أداة تحليل المحتوى ، في تحليل عينة البحث ، بعد عرض استمارة التحليل بصيغتها الأولية على السادة الخبراء* ، ومن ثم إجراء التعديلات عليها ، بغية إظهارها بالصورة الصحيحة ، لتحقيق هدف البحث .

---

*أفادت الباحثة من الموقع الرسمي للفنان في جمع الأعمال ، وقد تبين أن الفنان جمع أعماله كالآتي : سنة (1995- 1996) (32 عمل) ،(1996- 1998) (19 عمل) ، (1998- 2001) (31 عمل) ، (2001) (24) ، (2002) (16عمل) ، (2003) (15 عمل) ، (2004) (24 عمل) ، (2005) (7 أعمال).

*السادة الخبراء :

1- ا.د علي شناوة وادي : تربية فنية / طرق تدريس الفنون ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة بابل .
2- ا.د مكي عمران راجي : فنون تشكيلية / رسم ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة بابل .
3- ا.م.د قاسم جليل مهدي : تربية فنية ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة واسط .

خامسا : تحليل عينة البحث :

أنموذج (1)

اسم العينة : ؟

الخامة أو المادة : زيت على ورق .

القياسات : 30 × 30 سم .

سنة الإنتاج : 1995 .

العائدية : مقتنيات الفنان الخاصة .

يعد العمل الفني مربع الشكل حيث يحوي على عناصر هندسية امتاز بقدرة عالية على إحداث معالجات للسطح التصويري وأشكاله ، فكانت أشكاله هذه مرجعيات أسطورية وتاريخية استلهمت سماتها من الموروث الحضاري ورسوم الأطفال والرسم ، هذا ما جعل الفنان(هاشم حنون) يحكم عمله بتكوينات مربعة الشكل ذات ألوان رمادية،استخدم الفنان(هاشم حنون) في منجزه البصري التشكيلي الشكل المربع كأساس في بناء العمل الفني ، وعمد على تجزئة السطح التصويري إلى (16) مربع ، بعد فصله إلى نصفين في كل نصف (8) مربعات ، ويعد النصف الأعلى الملون بلون أوكر هو دلالة على العالم العلوي ، أما النصف الأسفل والملون بلون بني دلالة على عالم الوجود الأرضي .

وهنا استطاع الفنان توظيف عناصر الوجود داخل مربعات النصف الأسفل ، والمتمثلة بكائنات بشرية ذات قيم جمالية لونية متناثرة على جسد الكتلة التصويرية وأخرى حيوانية ، وكأن هناك في كل وحدة مربعة ثمة قصة ، أو حدث من خلالها يروي الفنان لعبه الحر كلعب طفولي ، فهي كملاذ آمن يلتجأ إليها من فوضى الحياة الدنيوية.

لقد قام بتجريد أشكاله لإظهار المعنى الكامن خلفها ، فجاءت هذه الأشكال تميل إلى الاستطالة ، فأصبحت قصدية الفنان واضحة المعالم . لذا تتحكم سمات رسوم الأطفال في هذا الخطاب البصري ، فهو ينشد كل ما هو عفوي وطفولي بنوع من التعالي للذات الإنسانية .

فضلا على تحريفه وتبسيطه لتلك الأشكال بطريقة مبسطة ومختزلة وفق أسلوب حداثوي، فتبدو ذات نزوع تجريدي يبحث عما وراء الأشياء بغية التعبير عن مكنونات وجدانية داخلية اقرب إلى البدائي والطفولي . إن الفعل الحداثوي في هذا الخطاب جاء يحمل صفات رسوم الأطفال ، بشكل تلقائي وعفوي يحمل فعلاً قصدياً لذات الفنان .

أنموذج (2)

اسم العينة : ؟

الخامة أو المادة : اكريلك على ورق .

القياسات : 70 × 90 سم .

سنة الإنتاج : 1997 .

العائدية : مقتنيات الفنان الخاصة .

صور (هاشم حنون) خطابه البصري التشكيلي بلونين هما الأزرق بتدرجاته والاوكر الذي يبدو طافيا فوق سطح الماء ممثلا جزءا من اليابسة الى جانب البحر، فاستخدام الفنان للون الأزرق بتدرجاته وكأن شخوصه تسبح في بحر يتلاطم في فضاء السطح التصويري ، لذا فتلك الشخوص جسدها الفنان باستطالة ذات تشويه وتحريف، بعيدة عن تفاصيل الواقع الحقيقي للشكل ، فالشخوص تظهر راقصة بإيقاع تصاعدي ، منغمسة بمشاعر وجدانية ، ومزدحمة بفرح طفولي ينشد السعادة .

لذا فخطابه البصري يعتمد على تجريد كل ما هو حسي ،والمعتمد على عنصر اللون الأحادي المضاد والمتدرج ، كما استطاع (حنون) ان يشكل تكويناته ليبحث عن السعادة من خلال منح أشكاله أو مفرداته البصرية المتعالية الوجود المادي الذي يحتضنها ، وبالتالي فان هذه المفردات تأخذ أشكالاً أقرب إلى التسامي ،والتحليق الخفي وكأنها تتجه باتجاه الوجود الكوني اللامتناهي ، فأشكال هذا المشهد قد صورها الفنان بخيال حر طليق للوصول بالمتلقي من خلال معالجاته الأدائية إلى الوجدان ، فضلا عن ذلك أراد الفنان من خلال طرح أشكالا مختزلة لينتج عوالم خيالية مستخدمة ومتسامية تنشد المفردات البصرية ذات الطابع الطفولي .

لذا فالتلقائية الطفولية ظاهرة بشكل عفوي ، مما عمل الفنان على استطالة أشكاله ، للتعالي والسمو ، فهي تتمتع بقصدية وغرضية ، أشبه بقصدية الطفل في رسمه لتلك الأشكال، فضلا على اختزاله للألوان واعتماده على لون أحادي (اللون الأزرق) وتدرجاته .

لقد صوَّر الفنان هذا العمل بأسلوب تجريدي ومختزل فأصبحت الشخوص مجرد كتل ملونة بالأزرق وتدرجاته ، ولعل ذلك للدلالة على عدم ارتياح النفوس إلا في الخروج إلى الطبيعة والحصول على متنفس من كدورات الحياة اليومية . فجاءت

مسطحة بعيدة عن المنظور الحقيقي لها، وأمواج البحر عبارة عن مستطيل يرتفع الى مستوى اليابسة ذو اللون الأوكر .

عمد الفنان إلى توزيع أشكال منجزه التشكيلي بطريقة عشوائية فتبدو الأشكال متداخلة مع بعضها البعض دون الاعتماد على قوانين المنظور من حيث الأماكن والأحجام والنسب فتبدو رسومه متشابكة مقتربة من رسوم الأطفال التي تفتقر إلى كل قوانين وقواعد الرسم والمنظور .

نموذج (3)

اسم العينة : ؟

الخامة أو المادة : اكريلك على ورق .

القياسات : 70 × 90 سم .

سنة الإنتاج : 1998 .

العائدية : مقتنيات الفنان الخاصة .

إن عناصر العمل الفني في هذا المشهد عبارة عن أشكال بشرية مرمزة ، تحمل دلالات بيئة يشوبها السعادة ، وهذا ما أفاد منه الفنان في توظيف المشهد . لعل الفنان هاشم حنون في منجزه هذا جعل من الفرح والسرور الطفولي هاجساً يحوم في مكونات السطح البصري ، فالعائلة تنسج بعداً اجتماعياً يكاد يكون اقرب إلى بيئة نحل ، لا يمكن أن تتفكك إلا بفعل معالجات الفنان للعمل الفني وفق رؤية ذاتية ، وبمقصدية عالية .

إن الجانب الروحي والوجداني السعيد فاعل في هذا المنجز ، من خلال توجه الإنسان نحو اللعب واللهو والقفز على الحبال والعزف على الالات الموسيقية فيبدو وكأنهم في فرح لامتناهي ، فالأشخاص هنا تبدوذو الفة ومودة . وفي حدود عناصر العمل الفني نجد أن الفنان قام بسمة التماثل في الشكل الإنساني ، والتماثل هنا من جانب الذكر والأنثى ، وان تكراره للأشكال الآدمية سواء في اللون أو الشكل ، باعث نحو عالم طفولي .

إن العمل الفني يمتلك أشكالاً ذات خطوط عضوية ، مليئة بفرح ازرق ، يسبح في فضاء اقرب إلى روح الزهرة البنفسجية . فالغبطة لدى الأم في هذا المنجز تطفح نحو عالم آخر فجاءت ممتدة إلى الأعلى باستطالة نحو التماهي .أما الطفلة فترقص فرحاً متأملة نحو عالم مجهول لا تعرف سره . لذا فهذا العمل الفني يحمل سمات محملة

ببراءة طفولية ، لا يسقطها على سطح تصويري سوى طفل يلعب بعبثية ، وقصدية تبوح بفعله النفسي ، بألوان وخطوط مجردة ومبسطة .

لذا نجد أن الفنان اقترب بذلك من رسوم الأطفال من خلال تكراره للأشكال ، فضلا على اعتماده على تحريفها ، فكانت مرة ذات استطالة ومرة أخرى قصيرة ، وهنا تؤكد قصدية الفنان والغرض منه كمعالجات للسطح التصويري ، بما يتناسب مع طبيعة الموضوع كونه يحمل تجريداً بعيداً عن النقل الحرفي والمحاكاتي.وهذا يتناسب مع طبيعة رسوم الطفل وغرضه في توزيع مفردات سطحه التصويري.

يعد العمل الفني مربع الشكل حيث يحوي على عناصر هندسية ، هذا ما جعل الفنان يحكم عمله بتكوينات ذات ألوان باردة وأخرى حارة . إن المشهد يوحي بمنظر للطبيعة فيه أشخاص تتحرك بين مكونات تلك الطبيعة .

لقد صوَّر الفنان هذا العمل بأسلوب تجريدي ومختزل فأصبحت الشخوص مجرد كتل ملونة بالأحمر وتدرجاته ، ولعل ذلك للدلالة على عدم ارتياح النفوس إلا في الخروج إلى الطبيعة والحصول على متنفس من كدورات الحياة اليومية . أما الطبيعة فكانت مخضرَّة ، وجاءت مسطحة بعيدة عن المنظور الحقيقي لها ، والأشجار عبارة عن مستطيل وهو يمثل جذع الشجرة أما الأغصان والأوراق فجمعت تحت شكل دائري .

الفصل الرابع / النتائج والاستنتاجات

أولا : نتائج البحث :

بعد تحليل عينة البحث توصلت الباحثة إلى جملة من النتائج :

1- إن الأشكال الفنية لدى هاشم حنون تتسم بالعفوية والتلقائية ، وذات طابع فطري .
2- استخدام الفنان للخطوط الهندسية والعضوية ، إنما يشكل اختزالا للأشكال .
3- ظهور الاختزال اللوني وهو بصورة غالبة في المساحات اللونية للأعمال الفنية .
4- قيام الفنان بتكرار الأشكال والألوان بما يتناسب مع طبيعة الموضوع المنفذ .
5- تجاوز الفنان لأشياء العالم الواقعي ، باختراقها لبحث ما هو جوهري وباطني ، فيعمل على إعطائها سمة الشفافية .
6- لقد جمع الفنان السطوح زمانيا ومكانيا في حيز واحد .
7- ابتعد عن المنظور التقليدي والاعتماد على السطح ذي البعدين من خلال تعدد خط الأرض .
8- شكل التماثل جزءا مهما في العمل الفني سواء في الشكل أو اللون .

9- إن القصدية للفنان متعالية بما يتناسب وطبيعة الغاية والغرضية من رسومه للأشكال .

ثانيا : الاستنتاجات :

في ضوء نتائج البحث تورد الباحثة الاستنتاجات الآتية :

1- تعد سمة التلقائية احد سمات رسوم الأطفال وبذا تنعكس في أعمال هاشم حنون .

2- كما يعد التكرار احد رسوم الأطفال من خلال الأشكال والألوان ، وهذا ما نجده في أعمال الفنان .

3- أما تحريف الأشكال وابتعادها عن التمثيل الحقيقي إنما يشكل سمة مهمة في رسوم الأطفال . وهذا انعكس أيضاً في أعمال هاشم حنون .

4- تنطلق الشفافية من خلال اختراق الفنان للأشياء والبحث عما هو مخفي ومستور .

ثالثا: التوصيات :

بعد ما أسفر عنه البحث الحالي من نتائج واستنتاجات توصي الباحثة بما يأتي :

1- الاهتمام برسوم الأطفال من خلال طبع الكتب والمصادر ، لما لها من أهمية تفيد الباحثين والمختصين ، لاسيما في الفنون التشكيلية .

2- اهتمام كلية الفنون الجميلة بالدراسات التي تخص رسوم الأطفال ، ذلك لغنى تلك الرسوم بالمعاني والمضامين .

رابعا : المقترحات :

استكمالا لمتطلبات البحث الحالي تقترح الباحثة إجراء الدراسات الآتية :

1- رسوم الأطفال وانعكاسها في أعمال الفنان عاصم عبد الأمير .

2- الشكل في رسوم الأطفال وتمثلاته في الرسم العراقي الحديث .

المصـــــادر

1. الاعسم ، عاصم عبد الأمير : جماليات الشكل في الفن العراقي الحديث ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، 1997 .
2. البسيوني , محمود : سايكولوجية رسوم الأطفال , ط2 ، دار المعارف , مصر , 1984.
3. ـــــــــــــــــــــ: لوحات وأفكار ، مجلة المثقف العربي ، عد (4) ، السنة الثالثة،1971.
4. ـــــــــــــــــــــ: طرق تعليم الفنون لدور المعلمين والمعلمات العامة, دار المعارض, مصر,1962.

5. ـــ: تأليف اصول التربية الفنية ، دار المعارف ، مصر ، ب.ت.
6. الترابي، فاطمة لطيف عبد الله: أثر الخصائص الفنية لرسوم الأطفال بالرسم العراقي المعاصر، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، 1999 .
7. الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت ، 1983
8. الربيعي ، شوكت : الفن التشكيلي المعاصر في العراق ، وزارة الإعلام ، مديرية الثقافة العامة ، السلسلة الفنية (11) ، بغداد ، 1972 .
9. ـــ: الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي (1885- 1985) ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الشارقة ، ب ت .
10. ـــ : الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي (1885-1985) ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 1986.
11. آل سعيد ، شاكر حسن : ملاحظاتي – 1952 – (مذكرات حول الإنشاء الفني) ، مجلة الأقلام ، العدد (1) ، السنة (24) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1989 .
12. ـــــــــــــــــــ: مقالات في التنظير والنقد الفني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1994 .
13. ـــــــــــــــــــ: فصول من تاريخ الحركة التشكيلية المعاصرة في العراق، ج 1،ج2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1983 .
14. العنـــاوي ، محمد عبيد ناصـــر حسين : سمات التحديث في رسوم فاخر محمد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل ، كلية الفنون الجميلة ، 2009.
15. الهيتي ، هادي نعمان : ثقافة الأطفال ، كتب عالم المعرفة ، الكويت ، 1989.
16. جبرا، إبراهيم جبرا: جذور الفن العراقي ، الدار العربية ، بغداد ، 1986 .
17. جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ط1 ، مطبعة سليمان زادة ، ج1 ، ذوي القربى ، 1385 هـ .
18. جودي ، محمد حسين : تأليف نحو رؤية جديدة في الفن والتربية الفنية، ب.ت.
19. حسين ، جليل: في الموقف الفكري للفنان العراقي ، مجلة المثقف العربي ، العدد الرابع ، تشرين أول ، 1971.
20. خميس ، حمدي : رسوم الأطفال، دار المعارف، مصر، 1962 .

21. ريد هربرت: تربية الذوق الفني، تر: يوسف ميخائيل أسعد، ط2، 1975.
22. سليم ، نزار : الفن العراقي المعاصر ، فن التصوير ، مطابع وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية ، 1977 .
23. شبّر ، إيمان عامر نعمة : الفطرية في الرسم العراقي المعاصر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة ، 2002.
24. عبد الأمير،عاصم : الرسم العراقي حداثة تكييف ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 2004 .
25. غيث، خلود بدر و معتصم عزمي: تأليف مبادئ التصميم الفني ،مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2008 .
26. كامل ، عادل : الحداثة في الفن التشكيلي العراقي ، الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، 1997.
27. ـــــــــــــــ : الحركة التشكيلية المعاصرة في العراق مرحلة الرواد ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1980.
28. ـــــــــــــــ : الفن التشكيلي المعاصر في العراق (مرحلة الستينات) ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ،1986.
29. كوفحي ، قاسم محمد ، ومحمد يوسف نصار : نظريات فنية في الفن والفنون الموسيقية والدرامية ، عالم الكتب الحديث ، اربد – الأردن ، 2008 .
30. ناجي ، شيماء حليم : جماليات الأشكال التراثية في الرسم العراقي المعاصر ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل ، كلية الفنون الجميلة ، 2007.

استمارة تحليل رسوم الأطفال وانعكاسها في أعمال هاشم حنون

ت	المجالات الرئيسة	السمات	تظهر	لا تظهر	التعديل المقترح
1	التحريف	في الشكل			
		في اللون			
		متنوع			
2	التكرار	في الشكل			
		في اللون			
		متنوع			

3	الشفافية	في الشكل			
		في اللون			
		متنوعة			
4	الدقة في تلوين الموضوع	إهمال تلوين الشكل والأرضية			
		عدم تجاوز اللون للخطوط الخارجية للشكل			
		تجاوز اللون للخطوط الخارجية للشكل			
5	تصوير البعد الثالث	استخدام قواعد المنظور الخطي			
		استخدام أكثر من خط ارض واحد			
		بتدرج الأشكال			
6	التماثل	في الشكل			
		في اللون			
		متنوع			
7	القصدية أو الغرضية	بالمبالغة في الحجم			
		بالاستطالة			
		بالإضافة			
		بالحذف			